



عرفة عبده علي*

حسن عبدالوهاب.. وجهوده في حفظ التراث المعماري الإسلامي

حسن عبدالوهاب... عاشق الآثار الإسلامية الأكبر، قد لا يعرفه الكثيرون، ولكن يعرفه كل من له صلة بالآثار لأنه علّم من أعلام الآثار والفنون الإسلامية؛ حيث اكتشف العديد من الآثار الإسلامية، وله أكثر من عشرة مؤلفات وحوالي 50 بحثًا ودراسة علمية قيّمة، واعتبر شواهد الحضارة الإسلامية جزءًا من تاريخنا الحضاري والثقافي، وكان يؤكد دائمًا أنّ الفنون الإسلامية ليست فقط الزخارف والنقوش وفن الأرابيسك، ولكنها تتلخّص في روحها الأساسية ونواتها المعمارية.

الملك في أربعينات القرن الماضي في مصر. وفي هذا البيت العلمي نشأ حسن عبدالوهاب، فحفظ القرآن، ودرس مبادئ العلوم في الأزهر، ثم تحوّل إلى تجهيزيّة دار العلوم والتحقّ بخدمة لجنة حفظ الآثار العربية التي تأسّست أيام السلطان حسين كامل، ولكن ذلك العصاميّ تعلّم الكثير في حقل الآثار الإسلامية علميًا، حيث عمل مع المهندس الإيطالي "يتريكولو" والسويسري "هرتس" ثم مع "جاستون فييت" والمهندس المصري محمود باشا أحمد؛ أوّل من

وُلد حسن عبدالوهاب في 31 آب/ أغسطس 1898، ونشأ في أسرة اشتغلت بالعلم، فنشأ نشأة علمية. وهو ينتسب إلى جيل العمالقة مثل الرافعي والعقاد وشوقي وطه حسين. كان أبوه الشيخ عبدالوهاب رضوان من علماء الأزهر الفضلاء، وجدّه الشيخ رضوان بن محمد بن سليمان من أعلام القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي؛ عالم القراءات ورسم المصحف، له المؤلفات الدقيقة التي كانت عماد لجنة المصاحف التي أشرفت على طبع مصحف

* كاتب ومؤرخ مصري

arafa_aa@yahoo.com



◀ حسن عبد الوهاب

اكتشافاته العلميّة

كان للعالم حسن عبدالوهاب فضل العديد من الاكتشافات التي تشهد له بالدقّة العلميّة، والملاحظة الواعية، فكثيرًا ما كان يقرأ لمؤرّخ أو رحّالة عبارة تقوده إلى كشف أثري خلفها؛ من ذلك ما كتبه الرحّالة ابن خبير عن تابوت خشبي دقيق الصُّنع في الغرفة السفلى للمشهد الحسيني عندما زار مصر سنة 1182م في طريقه إلى الحج، ممّا جعل العلامة الجليل حسن عبدالوهاب يراقب عناصر المشهد وينتظر فرصة لبحث عن ذلك الأثر الجميل، حتى حانت تلك الفرصة وأمر الملك فاروق سنة 1938 بتغيير أرضيّة المشهد، فانكشف ما كان يبحث عنه حسن عبدالوهاب، ونزل إلى أسفل، ووجد التابوت الذي كان مشغولًا بالذهب والفضة والموجود حاليًا بمتحف الفن الإسلامي.

تولّى الآثار العربيّة من المصريّين. وبعد هؤلاء وبين أيديهم اشتغل حسن عبدالوهاب بصيانة وترميم الآثار حتى أصبح مفتشًا للآثار العربيّة، ثم كبيرًا للمفتشين، ثم خبيرًا للآثار العربيّة، وكان يقرأ الفرنسيّة ويتحدّث بها ويعلّق على هوامش المراجع، أمّا الإنجليزيّة، فكان يقرأها له تلميذه عالم الآثار الدكتور عبدالرحمن فهمي وأخوه المهندس عبدالرحمن عبدالوهاب. وكان حسن عبدالوهاب يتميّز بهوامشه وتعليقاته على أيّ مرجع يتناوله بالقراءة والدّراسة.

كانت لحسن عبدالوهاب بحوث طريفة في حياة الصُّناع، ونظم العصور الإسلاميّة، وتخطيط المدن، والمقارنات بين آثار مصر وسورية وتونس. ولعلّ أطرف بحث له كان مدعمًا بالصور، ألقاه بالمجمع العلمي بمصر عن تخطيط شوارع القاهرة وتقسيمها وافتاتها الأثريّة على رؤوس الشوارع منذ أكثر من مئتي عام. وليس من أثر إسلامي في مصر بين رشيد وأسوان، إلّا وكان ليّد حسن عبدالوهاب فيه لمسة وأثر على بصمة من بصمات الحضارة حتى تقاوم الاندثار والفاء.

اعتبّر العلامة حسن عبدالوهاب شواهد الحضارة الإسلاميّة جزءًا من تاريخنا الحضاري والثقافي، وكان يؤكّد دائمًا أنّ الفنون الإسلاميّة ليست فقط الزخارف والنقوش وفن الأرابيسك، ولكنها تتلخّص في روحها الأساسيّة ونواتها... ففي كل معمار إسلامي صحن داخلي تحيط به باقي الوحدات المعماريّة، وبهذه الصفة لا يختلف الجامع عن القصر أو الوكالة أو الخان من حيث توزيع الضوء والهواء وتخفيف الضوضاء الخارجيّة!



◀ بيت القاضي - تصوير حسن عبد الوهاب

في مكانه صورًا فوتوغرافية رفعتها مع تقريره إلى لجنة حفظ الآثار العربية، ثم أخرجته بعد الاتفاق مع وزارة الأوقاف، وأصلحته إدارة حفظ الآثار العربية، وأعادته إلى مجده الفني ثم أودعته دار الآثار العربية في 23 يناير سنة 1945.

صداقات علمية

ارتبط حسن عبدالوهاب بصداقة علم قوية مع المستشرق الفرنسي "جاستون فييت" مدير متحف الآثار الإسلامية بالقاهرة (1924- 1944) وعضو المجمع العلمي الفرنسي وأستاذ اللغة العربية في "الكوليج دي فرانسى" وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وكان أيضًا من عشاق الآثار الإسلامية، وحقّق الجزء الأول من مخطوط

ومن أبرز جهوده اكتشاف أحد أبواب سور القاهرة الكبير، وكان الأثري الإنجليزي "كريزول" قد أشار إلى احتمال وجود الباب تحت أتربة تلال الدراسة، وكان "كريزول" يصف الباب باسم "البرقية"، أما حسن عبدالوهاب فكان يشاركه في الاحتمال ويخالفه الرأي في اسم الباب، فلمّا كان البدء في اتخاذ طريق جديدة شرقي القاهرة خلف التلال، اقتضى ذلك اختراق التلال بطريق تصل إلى شارع الأزهر، وبينما العمال يرفعون الأتربة كان عالم الآثار حسن عبدالوهاب الذي قد جاوز الستين، يذهب في السادسة صباحًا حاملًا أجهزة التصوير متابعًا عملية الإزالة حتى بدأت دائرة العقد تظهر بين برجين من أبراج السور، ووقف عالم الآثار بن أكوام الأتربة ليصوّر كتابات ذلك الباب المكتشف وعليها تاريخ الإنشاء وكان اسمه كما توقّع "باب التوفيق" وليس باب "البرقية"! وفي كتابه "المساجد الأثرية التي زارها جلالة الملك فاروق" دون حسن عبدالوهاب ما يلي: "وعندما كتبت في جريدة الأهرام عن تاريخ المشهد الحسيني يوم الجمعة 4 نوفمبر سنة 1938، كتبت عن هذا التابوت ما نصّه: والمعروف أنّ تحت أرضية هذه القبّة حجرة بها تابوت من خشب محلى بزخارف وكتابات... فلمّا تحمّل القصر الملكي نفقات تغيير أرضية القبّة بالرخام، انتهزتُ الفرصة واستأذنتُ في نزول الغرفة السفلى، فبهرتني روعة التابوت، كما أحزنتني الحالة التي هو عليها، فقد ظلّ التابوت الذي يزري بالذهب والفضة، محتجبًا عن الأنظار نحو ثمانية قرون، لم تكتحل به عين الأثريين، وقد دبّ التلّف إلى أجزائه، فأخذتُ له

أيضاً صادق وزامل د.فريد شافعي المهندس وعاشق الآثار الإسلاميّة، وشاركه في بعض رحلاته إلى دمشق وبغداد والكوفة والبصرة والقيروان، وتناول آثارها بالتحليل الهندسي، وهو صاحب كتاب "العمارة العربيّة في مصر الإسلاميّة"، وقد انتقد د.فريد شافعي الحكومات العربيّة في تقصيرها تجاه الآثار الإسلاميّة وتركيز اهتمامها على الآثار الفرعونيّة والآشوريّة والبابليّة والفينيقيّة والرومانيّة، وأشرف على تصميم وتنفيذ ضريح "أغاخان" في أسوان، فكان آية من آيات الفن المعبرّ وفي اختيار الموقع الذي يربط نهر النيل بالصحراء بالصوفيّة المجرّدة...

توثقت صلات شخصيّات علمية بارزة من المستشرقين بالعالم حسن عبدالوهاب ليس فقط لغزارة علمه وخبراته، وإنّما أيضاً لطباعه السمحة ونفسه الصافية، كما كانت له مراسلات معهم تناقش آثراً أو تحفّف موقعاً. وكانت أهم جولاته العربيّة عندما أشرف على ترميم وتجديد الحرم القدسيّ الشريف: المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة.. وجولاته في القاهرة ودمشق وحلب وبغداد والكوفة والقيروان بين جدران عتيقة تراكم عليها التاريخ، تروي في صمت قصص آلاف الفنانين بناء الحضارة والحياء!

آثاره العلميّة

من المؤلفات العلميّة لعالم الآثار حسن عبدالوهاب:

- "تاريخ المساجد الأثرية".

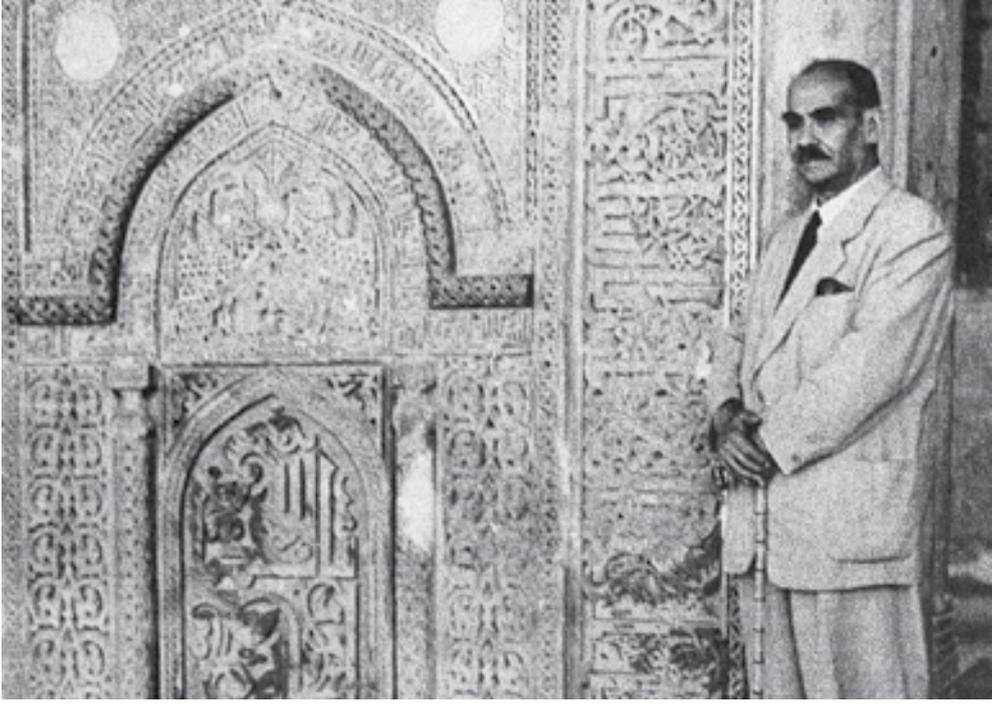
- "بين الآثار الإسلاميّة"، نشر بالعربية والإنجليزية



◀ سبيل السلطان الأشرف قايتباي وقبة الأقصى - تصوير حسن عبد الوهاب

المقريزي، وترجم كتاب "البلدان" لليعقوبي، ومختصر الشريف الإدريسي.. كما ترجم إلى الفرنسيّة أيضاً كتاب "الأيام" لطف حسين، وكتاب "يوميات نائب في الأرياف" لتوفيق الحكيم، وشارك في دائرة المعارف الإسلاميّة، كما شارك "لويس هونكيور" كتاب "مساجد القاهرة" في مجلّدين ضخمين، وألّف كتاب "عظمة الإسلام" وكتاب "القاهرة مدينة الفن والتجارة"... وفي كتاب "مساجد القاهرة" استفاد "فييت" كثيراً من غزارة علم حسن عبدالوهاب وخبراته العمليّة.

كان لعالمنا الفضل العظيم على المشتغلين بالتراث المعماري الإسلامي، وكان منهم أيضاً الكاتبين "كريزول" صاحب أشهر خريطة للآثار الإسلاميّة بالقاهرة وأفاد كثيراً من ملاحظات عبدالوهاب..



والفرنسية. "الأهرام" والتي بلغت نحو 200 مقال كانت تحظى باهتمام القراء وتعليقاتهم. وتجدد الإشارة إلى أن حسن عبدالوهاب أدرك أهمية الصورة الفوتوغرافية كوسيلة توثيقية، ودراسته وقراءته لروائع العمارة الإسلامية دلت على عشق وإعجاب أكدته صورته الفوتوغرافية بالغة الرقي، فكان مصوراً فناناً، وإبان عملي في المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة -أيام الشباب- شاهدت مجموعة رائعة التقطها حسن عبدالوهاب لبيوت إسلامية وأسبلة وحمامات ومساجد أثرية، وخلف كل صورة توقيع باسمه وتاريخ التصوير واسم الأثر! لقد كان عالمنا الجليل عاشقاً للآثار الإسلامية... حجارتها زكية الرائحة في أنفه لا عطر يفوق عطرها... وأعد كتاباته من أروع "المرافعات" عن العمارة الإسلامية وفنونها وعظمتها! ■

- "الآثار الإسلامية بمصر"، نشر بالعربية والإنجليزية والفرنسية.
 - "العمارة في عصر محمد علي"، بحث شامل للآثار المنشأة في عصره.
 - "تاريخ الشرطة في العصر الإسلامي".
 - "دليل الطالب لآثار القاهرة".
 - "العمارة الإسلامية في مصر".
 - "إدارة حفظ الآثار العربية ورسالتها في رعاية الآثار الإسلامية".
 - "رمضان: عناية المسلمين بهذا الشهر وتقاليدهم".
 - "مسجد السلطان حسن وما حوله".
 ناهيك عن عشرات الأبحاث التي ألقاها في المؤتمرات والجامع العلمية، وأبحاثه المنشورة في دوريات عديدة، ومقالاته التي نشرت بصحيفة